مركز البيدر للدراسات والتخطيط
Al-Baidar Center for Studies and Planning

ورقة مترجمة

كيف تُهدد الضربات الأخيرة بفتح صندوق باندورا في الخليج؟

علي واعظ

إصدارات مركز البيدر للدراسات والتخطيط

للمرة الثانية خلال ثمانية أشهر، شنت الولايات المتحدة وإسرائيل ضربات عسكرية على إيران. في يونيو الماضي، انصب تركيز واشنطن بشكل شبه كامل على البرنامج النووي الإيراني، حيث استهدفت الضربات الأمريكية ثلاثة من أهم المنشآت النووية في الجمهورية الإسلامية، بينما استهدفت إسرائيل مجموعة أوسع من الأهداف الاستراتيجية، بما في ذلك قادة عسكريون، ومنشآت إطلاق وإنتاج صواريخ، وبنية تحتية نووية.

هذه المرة، شنت الولايات المتحدة وإسرائيل عملية عسكرية مشتركة واسعة النطاق ضد القيادة الإيرانية وقدراتها، ودعا الرئيس الأمريكي دونالد ترامب إلى «تغيير النظام» بعد التظاهرات الاخيرة وما رافقها من عنف مطلع هذا العام. وفي يوم السبت الموافق 28 فبراير، قصفت القوات الأمريكية والإسرائيلية مئات المواقع في أنحاء البلاد، واستهدفت عدداً من كبار القادة، بمن فيهم المرشد الأعلى الإيراني، آية الله علي خامنئي، الذي قُتل مع أفراد من عائلته ومستشارين رئيسيين.

لكن المراحل المحتملة التالية للصراع أكثر تعقيداً بكثير من تلك التي واجهتها واشنطن في أعقاب ضربات العام الماضي. كانت عملية «مطرقة منتصف الليل»، كما سُمّي ذلك الهجوم، جريئة ولكنها محدودة، إذ كان رد إيران - بضرب قاعدة أمريكية مُخلاة في قطر - مُعلناً مسبقاً.

على النقيض من ذلك، فتح الهجوم الأخير، الذي أُطلق عليه اسم عملية الغضب الملحمي، صندوق باندورا، دون هدف واضح في المتناول أو مسار واضح لخفض التصعيد. قبل الضربات، حذرت إيران من أنها سترد، الأمر الذي وضعها الآن في موقف حرج ورفع مستوى المخاطر بشكل عام. حتى في حالتها الضعيفة، لا يزال النظام يمتلك قوة فتاكة هائلة. منذ يونيو الماضي، شرع في إعادة بناء ترسانته من الصواريخ الباليستية بوتيرة وصفها تقييم

عسكري إسرائيلي بأنها «سريعة». بإمكانه إطلاق مئات الصواريخ على القواعد الأمريكية ومصالحها وحلفائها، كما يمكنه تفعيل ما تبقى من شبكته الإقليمية من الشركاء والحلفاء.

«عندما ننتهي، تولوا زمام الأمور»، هكذا حثّ ترامب الشعب الإيراني عند إعلانه الضربات. «ستكون حكومتكم بين أيديكم». لكن الطريق إلى انتفاضة شعبية ناجحة تُطيح بالنظام لا يزال غامضاً. فالقنابل قادرة على تدمير البنية التحتية، وإضعاف القدرات، والقضاء على القادة، لكنها لا تُنشئ بدائل سياسية منظمة. الشعب الايراني يواجه تحديات مختلفة حتى النظام المُنهك يحتفظ بمؤسسات أمنية مهمة - الحرس الثوري، وأجهزة المخابرات، وقوات الأمن الداخلي - التي بُنيت خصيصاً لمثل هذه اللحظات.

تحول الاحتجاج

وضع ترامب بصيص أمل مبكر لهذا الهجوم بعد أن غصّت الشوارع بالمتظاهرين الإيرانيين في أواخر ديسمبر. تركز الغضب في البداية بين التجار الذين شعروا بالاستياء من انهيار العملة الوطنية، لكنه سرعان ما امتدّ ليشمل البلاد بأكملها مع مطالبات بسقوط النظام. أعقب ذلك حملة عنف رافقت الاحتجاجات، أسفرت عن مقتل آلاف على الأقل. ومع تزايد عدد القتلى، حذّر ترامب في الثاني من يناير من أن الولايات المتحدة «مستعدة تماماً» لدعم المتظاهرين.

رغم أن الحكومة الإيرانية واجهت تظاهرات متكررة في السنوات الأخيرة، إلا أن هذا التهديد من الولايات المتحدة شكّل تحولاً ملحوظاً. فقد تمحورت ردود الفعل الأمريكية السابقة في الغالب حول بيانات دعم حقوق المتظاهرين، وخطاب إدانة الحكومة، وفرض عقوبات على المتورطين في القمع. في المقابل، كان ترامب - الذي سبق أن أبدى استعداده لتنفيذ تهديداته ضد إيران في عملية يونيو - يثير الآن احتمال التدخل الأمريكي المباشر.

مع ذلك، كان رد فعل ترامب الملموس الأول اقتصادياً، إذ أعلن فرض رسوم جمركية بنسبة 25% على من يتعاملون تجارياً مع الجمهورية الإسلامية، ثم أضاف لاحقاً عقوبات أمريكية على شبكات «الخدمات المصرفية الموازية» الإيرانية ومسؤولي النظام. أما رد فعله الثاني فكان التواصل شخصياً مع إيلون ماسك للمساعدة في مواجهة انقطاع الإنترنت في طهران، وأفادت التقارير بإرسال آلاف وحدات ستارلينك إلى إيران. وكانت الخطوة الثالثة رفضاً، وإن كان لفترة وجيزة، لاستمرار الحوار الدبلوماسي مع النظام طالما استمر القمع. (قبل ذلك، أفادت التقارير أن وزير الخارجية الإيراني كان على اتصال بالمبعوث الخاص لترامب).

من جانبها، سعت طهران إلى ردع التدخل الأمريكي بتهديدات مماثلة. وأوضح قادة النظام أنهم سيتعاملون مع أي هجوم على الجمهورية الإسلامية، كبيراً كان أم صغيراً، على أنه يستدعي رداً كبيراً، مما يوحي بأن القوات والأصول الأمريكية (وأصول شركائها الأمنيين) في جميع أنحاء المنطقة ستكون هدفاً رئيسياً.

إذا كانت القيادة الإيرانية قلقة بشأن ترامب، فقد كان قلقها الأكبر نابعاً من حدة الغضب الشعبي الذي واجهته. حتى بمعايير نظام متشدد، فقد تحركت بسرعة مثيرة للقلق لقتل آلاف من مواطنيها وإخماد الزخم المتزايد للحركة. في الواقع، ولأن تهديدات ترامب لم تكن مدعومة فوراً باستعداد عسكري، فقد تكون هذه التهديدات قد شكلت حافزاً سلبياً للنظام لإعادة بسط سيطرته، مهما كلف الأمر، قبل أن تتمكن الولايات المتحدة من نشر قواتها العسكرية في المنطقة.

تزايد الزخم

مع تصاعد التوترات، ناشد حلفاء الولايات المتحدة وشركاؤها في المنطقة واشنطن عدم التسرع في اتخاذ أي إجراء، خشية تعرضهم لأي رد إيراني. وفي منتصف يناير، عززت الولايات المتحدة وجودها العسكري في المنطقة، بما في ذلك مجموعتين من حاملات الطائرات وعشرات الطائرات، وهو حشد عسكري لم تشهده المنطقة منذ حرب العراق قبل أكثر من عقدين. ومع انتشار القوات الأمريكية في أنحاء المنطقة، صعّد ترامب إنذاره لطهران: بإمكان هذه القوة المحشدة شن هجوم «أسوأ بكثير» من هجوم يونيو ما لم تقبل طهران «بصفقة عادلة ومنصفة» تتضمن كحد أدنى التخلي عن برنامجها النووي، وبشكل أكثر طموحاً، التخلي عن تطوير صواريخها الباليستية ودعم حلفائها الإقليميين من غير الدول.

سعت سلسلة من الاتصالات واللقاءات بين الوسطاء الإقليميين إلى إنعاش الدبلوماسية التي كانت راكدة إلى حد كبير منذ حرب الأيام الاثني عشر العام الماضي. وفي فبراير - شباط، عُقدت ثلاث جولات منفصلة من المحادثات في عُمان وسويسرا. على الرغم نجاحها في تضييق بعض الفجوات، إلا أن نقاط الخلاف ظلت قائمة، لا سيما فيما يتعلق بالتنازلات النووية الإيرانية وتخفيف العقوبات الأمريكية. كما فشلت المفاوضات لتجاوز القضايا غير النووية، بما في ذلك برنامجها الصاروخي ودعمها لحلفائها من غير الدول، في تلبية توقعات واشنطن.

لم تُجدِ الخطوات التدريجية نفعاً أمام الزخم المتصاعد نحو المواجهة، حيث تصاعدت الأصوات المتشددة في كل من الولايات المتحدة وإسرائيل داعيةً إلى الحرب. وقد أعرب الرئيس نفسه عن استيائه من سير المحادثات. ففي خطابه عن حالة الاتحاد،

أكد ترامب أن الإيرانيين «يواصلون في هذه اللحظة سعيهم الحثيث لتحقيق طموحاتهم الخبيثة» على الصعيد النووي، و«يعملون على بناء صواريخ ستصل قريباً إلى الولايات المتحدة الأمريكية».

لم يكن أي من هذين التهديدين وشيكاً. فرغم رفض طهران السماح للمفتشين الدوليين بدخول منشآتها النووية المتضررة، أكدت الولايات المتحدة عدم وجود أي تخصيب لليورانيوم حالياً، فضلاً عن تخصيبه إلى مستوى يسمح باستخدامه في صنع الأسلحة. كذلك، وبعد أن أعاقت ضربات يونيو قدرات إيران التقليدية بشكل كبير، فإن احتمال تمكن صاروخ باليستي عابر للقارات إيراني من ضرب الأراضي الأمريكية لا يزال بعيد المنال. ومع ذلك، وافق ترامب على هذه الضربات في 28 فبراير.

صراع من أجل البقاء

مع شنّ إيران هجمات انتقامية على إسرائيل والقواعد الأمريكية في دول الخليج، يصبح منطقها واضحاً. فأي ضربة تُكبّد الولايات المتحدة خسائر في الأرواح والموارد قد تُشكّل ضربة سياسية قوية لترامب، لا سيما أنه خاض الانتخابات الرئاسية مُعتمداً جزئياً على تجنّب التورط العسكري. ويبدو أن إيران تعتقد أيضاً أن ترامب يُفضّل الحملات المحدودة والمُبهرة على الحملات المُطوّلة والمفتوحة. ولعل طهران تأمل في أنه إذا أظهرت إمكانية التصعيد غير المحدود، فقد تتمكن من ثني ترامب عن مواصلة حملته، تماماً كما فعل عندما أوقف حرباً مُكلفة وخاسرة ضد الحوثيين في اليمن العام الماضي.

قد يكون ذلك خطأً مكلفاً. فمنذ السابع من أكتوبر - تشرين الأول 2023، حين هاجمت حماس إسرائيل، بالغت إيران مراراً في تقدير قدراتها، وقللت من شأن عزيمة خصومها ورغبتهم في المخاطرة. على المدى البعيد، قد يدفع ترامب ثمناً سياسياً باهظاً

لهذه الحرب، لكن على المدى القريب، لا يزال خطر التصعيد قائماً. في الواقع، يبدو تراجع الولايات المتحدة أقل احتمالاً رداً على الضربات الإيرانية المضادة، خشية أن تبدو هذه المقامرة الكبرى وكأنها ارتدت عليها بنتائج عكسية. وإذا اعتقدت الجمهورية الإسلامية أن الهجمات الخارجية ستساعدها على تعزيز التأييد الشعبي داخلياً - ما يُعرف بتأثير الالتفاف حول العلم - فقد تكون مخطئة تماماً، بعد موجة العنف الشديدة التي رافقت الاحتجاجات.

مع ذلك، إذا كان رهان الولايات المتحدة هو أن الضربات الجوية ستنهي المهمة من الأعلى بينما يكملها الإيرانيون من الأسفل، فإن هذا الرهان لا يستند إلى نموذج تاريخي واضح ويتجاهل صمود الأنظمة الراسخة تحت الضغط الخارجي. تبدو سيناريوهات أخرى أسهل تصوراً: على سبيل المثال، سيطرة أكثر وضوحاً من قبل الحرس الثوري الذي أصبح بالفعل فاعلاً سياسياً واقتصادياً بارزاً في عهد المرشد خامنئي، أو صراع أهلي طويل الأمد بين من يسعون لإسقاط فلول النظام ومن يتمسكون به بشدة. بطبيعة الحال، في ظل صراع الجمهورية الإسلامية من أجل البقاء، يستحيل التنبؤ بما سيحدث لاحقاً بثقة، ومهما كان شكل الأحداث، فسيكون التغيير عميقاً.

هوية البحث

اسم الباحث: علي واعظ - مدير مشروع إيران في مجموعة الأزمات الدولية.

عنوان البحث: كيف تُهدد الضربات الأخيرة بفتح صندوق باندورا في الخليج

تأريخ النشر: اذار - مارس 2026

رابط البحث: فورين أفيرز:

https://www.foreignaffairs.com/iran/trump-iran-gamble-vaez

ملاحظة:

الآراء الواردة في هذا البحث لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المركز، إنما تعبر فقط عن وجهة نظر كاتبها

عن المركز

مركز البيدر للدراسات والتخطيط منظمة عراقية غير حكوميّة، وغير ربحِيّة، أُسِّس سنة 2015م، وسُجِّل لدى دائرة المنظمات غير الحكومية في الأمانة العامة لمجلس الوزراء.

يحرص المركز للمساهمة في بناء الإنسان، بوصفه ثروة هذا الوطن، عن طريق تنظيم برامج لإعداد وتطوير الشباب الواعد، وعقد دورات لصناعة قيادات قادرة على طرح وتبني رؤى وخطط مستقبلية، تنهض بالفرد والمجتمع وتحافظ على هوية المجتمع العراقي المتميزة ومنظومته القيمية، القائمة على الالتزام بمكارم الأخلاق، والتحلي بالصفات الحميدة، ونبذ الفساد بأنواعه كافة، إدارية ومالية وفكرية وأخلاقية وغيرها.

ويسعى المركز أيضاً للمشاركة في بناء الدولة، عن طريق طرح الرؤى والحلول العملية للمشاكل والتحديات الرئيسة التي تواجهها الدولة، وتطوير آليات إدارة القطاع العام ورسم السياسات العامة ووضع الخطط الاستراتيجية، وذلك عن طريق الدراسات الرصينة المستندة على البيانات والمعلومات الموثقة، وعن طريق اللقاءات الدورية مع الجهات المعنية في الدولة والمنظمات الدولية ذات العلاقة. كما يسعى المركز لدعم وتطوير القطاع الخاص والنهوض به، بما يقلل من اعتماد المواطنين على مؤسسات الدولة.

حقوق النشر محفوظة لمركز البيدر للدراسات والتخطيط

www.baidarcenter.org

info@baidarcenter.org